مسألة "التربية" في اهتمامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال جريدة البصائر الثانية 1947 -1954

أ.عبد الله موساوي، جامعة قسنطينة 2 عبد الحميد مهري- الجزائر

The issue of "education" in the interests of the Algerian Muslim Scholars Association Through the second al-Bassaer newspaper 1947-1954

Abdallah Moussaoui, University of Constantine 2 Abdelhamid Mehri, Algeria

ملخص: يعد الميدان التربوي واحد من أبرز الموضوعات التي شغلت رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، خلا مرحلتيها الباديسية والإبراهيمية، وذلك ردا على الاستعمار الفرنسي الساعي للقضاء على كل ما يربط الجزائري بهويته العربية الإسلامية، تجلت البداية بالتركيز على الجانب الأخلاقي في بداية كل عمل تعليمي، وهو ما تجسد جليا في لسان حالها جريدة البصائر الثانية 1947-1956، هذه الأخيرة التي أولت لقضية "التربية" أهمية خاصة في العديد من صفحاتها، بدءا بالتعريف بها وتوضيح أسسها الدينية والوطنية والقومية، مع تبيان مدى أهميتها قبل التعليم حتى يكتمل بهما الجانب الروحي والمادي في الأمة.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ الاستعمار؛ جمعية العلماء المسلمين ؛ جريدة البصائر الثانية؛ مسألة التربية.

Abstract: The educational field is one of the most prominent topics that were occupied by the men of the Association of Algerian Muslim scholars, in the two stages of the badisé and Ibrahimia, in response to the French colonization seeking to eliminate everything that connects the Algerian to his Arab-Islamic identity, the beginning was manifested by focusing on the side Moral at the beginning of every educational work, which is clearly embodied in the language of the Al-Bassaer Second Newspaper 1947-1956, the latter, which has attached to the issue of "education" particular importance in many of its pages, starting with the definition of the religious, national and nationalist foundations, showing the extent of its relevance before education until completion Their spiritual and material aspect in the nation.

Keywords: Algeria; colonization; Muslim Scholars Association; Al-Bassaer Second Newspaper; the issue of education.

مقدمة:

تُعد قضية الهوية الإسلامية عامة واللغة العربية بصفة خاصة من أهم المسائل التي شغلت حيزاً كبيراً من نضال الحركة الإصلاحية بالجزائر، ضد استعمار ادماجي سعى بكل ما اوتي من وسائل إلى استهداف الإنسان الجزائري في كيانه الروحي، وكل بنيته الحضارية وذلك بالاعتداء على مؤسساته الدينية والثقافية خاصة التربوية منها، هدفه من ذلك القضاء على شخصية الجزائريين والعمل على إخراجهم من عروبتهم وإسلامهم(الجمالي محمد فاضل، 1976، ص59)، وقوبل هذا المسخ الاستعماري بعمل إصلاحي استهدف التصدي للمخططات الاستعمارية من جهة والنهوض بالأمة الجزائرية من جهة أخرى، وذلك انطلاقا من الفكرة الإصلاحية التي حددها الشيخ ابن باديس في العدد الأول من جريدة "المنتقد" بقوله "نحسن ما كان من أخلاق الأمم حسناً وموافقاً لحالنا وتقاليدنا ونقبله، ونفتح ما كان منها قبيحا أو مباينا لمجتمعنا وبيئتنا ونرفضه"(لونيسي رابح، 2012، ص20)، وهو ما ظهر جليا سنة 1931 بتأسيس جمعية العلماء المسلمين، فمن تكون هذه الأخيرة ؟ والى أي مدى كانت قضية التربية ضمن اهتمامات كُتَّاب جريدة البصائر الثانية 1947؟

أولا. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

لقد رأى ابن باديس بثاقب بصيرته، وبعد طول تقليب الأمور، وفحص الأحوال المجتمع انه لامناص من مواجهة المشروع الثقافي الفرنسي بالمحافظة على الهوية وإذكاء الروح الوطنية(عثمان مبارك حداد، 2005، ص275)، قائلا في هذا الشأن: "العروبة والإسلام والعلم والفضيلة هذه أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين"(بن فليس خديجة، 2005، ص354).

وأما عن ماهية هذا الاتجاه الإصلاحي الجديد، فقد تولت الجمعية التعريف بنفسها في منشور صدر بجريدة "البصائر الاولى" سنة 1939 جاء فيه: " إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها وإعمالها جزائرية في مدارها وأوضاعها علمية في مبدئها وغايتها أُسست لغرض شريف تستدعيه ضرورة هذا الوطن وطبيعة أهله"(جريدة البصائر، 1939، ص5).

الحق إن؛ المتتبع لمسار جمعية العلماء في المرحلة الباديسية يجد أن الجمعية بدأت رسالتها التربوية بالتركيز على الجانب الأخلاقي ثم التعليمي وذالك من باب الاهتمام "بالدين والعلم"،حتى يكتمل بهما الجانب الروحي والمادي في الأمة(عمامرة تركي رابح ، 2009، ص4)، ولتجسيد هذه الإستراتيجية الإصلاحية اعتمدت جمعية العلماء على وسيلتين مهمتين تندرج كلها في بناء الفرد الجزائري وتشيد صرح الأمة وميدانا لتثقيف العقول، فالأولى بيداغوجية وما يليق بها من هياكل مادية، تمثلت حصرياً في:

-توظيف مؤسسة المسجد وإحياء رسالته الحقيقية

-تكوين النوادي وتشييد المدارس تأسيس الجمعيات الخيرية وتقديم الخدمات الاجتماعية(بن عمرة السعيد، 2005، ص370-371).

وأما الوسيلة الثانية فهي إعلامية وتمثلت في تأسيس الحركة الصحفية النشيطة وتوجيهها لخدمة الإصلاح والتثقيف(ناجي عبد النور، دس، ص36)، ويعتبر ابن باديس من ابرز روادها في الجزائر ومن الذين أرسو دعائمها على أسس متينة من الإيمان بالمبدأ والوطنية والتقاليد الصحفية العالية (بن عون بن عتو، 2010، ص215-216)، ونستشهد هنا برأي الأستاذ مبارك الميلي عن الصحافة وما لها من أهمية ومما جاء في قوله:" وان من أهم الخطط واهم الوسائل لتحقيق الغايات، ونشر الدعوات: إنشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيدا الأقوال، وسديد النظريات، وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملا في ناديهم وعلى... وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها وتبشر بها وتدافع دونها ".(بن ذياب احمد، 2011، ص99).

ولا نبالغ إن قلنا؛ أن اعتماد الجمعية على هذه الوسيلة ألا وهي الصحافة جاء إذا في إطار التجديد الديناميكي الاجتماعي الثقافي، فالواقع المعاش آنذاك زاد من حتمية الاعتماد على هذا المنهج الإعلامي سواء لإيصال رسالة أو انتقاد وضع أو لإطلاع الجزائريين على الأوضاع الداخلية والخارجية، السياسية منها والاجتماعية، وهو ما سعت الجمعية لتطبيقه انطلاقا من الصحف التي سيتم إنشاؤها، أبرزها جريدة البصائر الثانية.

ثانيا. جريدة البصائر الثانية :1947-1956م:

النشأة وأسباب الصدور:

شهدت الساحة السياسية في الجزائر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عودة بارزة لأقطاب الحركة الوطنية الجزائرية إلى النشاط من جديد منها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي استعادت عافيتها بعد إطلاق سراح رئيسها الشيخ البشير الإبراهيمي، هذا الأخير الذي ساهم في إحياء جريدة البصائر الثانية بعد توقف دام قرابة التسع سنوات، فأصبح بذلك مدير التحرير، وصاحب الامتياز.

صدرت البصائر السلسلة الثانية أسبوعية باللغة العربية وبشعار جديد وهو " العروبة والإسلام"، فظهر أول عدد منها في 07 رمضان 1366ه الموافق 25جويلية 1947م، بحيث ظهرت أعدادها التسع الأولى كل يوم جمعة ليتحول بعدها الصدور إلى يوم الاثنين ابتداء من العدد العاشر إلى غاية العدد211 لتعود بعدها إلى يوم الجمعة مرة أخرى، ودام صدورها ما يقرب التسع سنوات ظهر منها خلالها 316 عدد وكان آخر عدد صدر بتاريخ 06 افريل 1956م(جريدة البصائر، 1947، ص1).

تجدر الإشارة إلى أن؛ إحياء البصائر الثانية جاء امتدادا للبصائر الأولى واستكمالاً لمشوارها الإصلاحي، وهو ما يؤكده الشيخ البشير الإبراهيمي في افتتاحية العدد الأول منها قائلا: "وهذه جريدة البصائر تعود من جديد بعد احتجاب طال أمده، وكما تعود الشمس إلى الإشراق بعد التغيب، وتعود الشجرة إلى الإيراق بعد التسلّب"(الإبراهيمي محمد البشير، 1947، ص1)، وعرف الإبراهيمي "البصائر" فقال عنها " جريدة البصائر هي إحدى الألسنة الأربعة الصامتة لجمعية العلماء، تلك الألسنة التي كانت تفيض بالحكمة الإلهية المستمدة من كلام الله وكلام رسوله (ص)، والتي كانت ترمي بالشرر على المبطلين والمعطلين، وكانت كلما اغمد الظلم لسانا، سلَّ

الحق لسانا لا يثلم ولا ينبو" ومن خلال ما تقدم به الإبراهيمي يتضح لنا أن جريدة البصائر الثانية هي:

-الناطق الرسمي لجمعية العلماء والمعبر عن أفكارها واتجاهها.

-اتجاهها ومرجعيتها الإسلامية المستمدة من كتاب الله وسنة نبيه.

-هدفها الرمي بالشر على المبطلين والمعطلين وهو كما يبدو هدف ذو وجهين دفاعي وهجومي(جمَّال غنية، 2004، ص120).

وفي هذا المعنى تقريبا ذهب إليه فرحات الدراجي عندما قال عنها "جريدة البصائر هي جريدة المبادئ الصحيحة والأفكار القويمة وهي إحدى الدعائم التي تقوم عليها رسالة جمعية العلماء، هذه الأخيرة هي الهيئة الوحيدة التي تكلا الإسلام والعربية في الجزائر وتحمل راية العروبة في ربوعها وتشرف على عشرات المدارس العربية في القطر وتسوس مئات المعلمين، فواجبها أن تذيع البلاغة العربية والبيان العربي، وتعمل على نشرها في كتاباتها وخطبها وصحفها ومنشوراتها ولا تثريب عليها إذا أصدرت جريدتها بلسان عربي مبين"(بن الدّراجي فرحات، 1947، ص25).

هذا وقد سر محبوها عند إحياءها بعد احتجاب طال أمده ومن هؤلاء نجد صالح بوغزال الذي قال بشأنها "فلقد كانت جريدة البصائر الغراء منذ أن ظهرت إلى يوم أن احتجبت الصحيفة الوحيدة التي تنافح عن الإسلام والعربية والجزائر بصدق وإخلاص وتطلع قراءها بالأفكار الحرة والآراء السديدة لذلك كان تألم المصلحين لاحتجابها عظيماً بقدر ما كان ابتهاجهم بظهورها عظيماً"(بوغزال صالح، 1947، ص7)، أما عبد الرحمن المسعدي فعبر عن إحياء البصائر الثانية بأبيات شعرية ومنها:

ظَللنا نُثاوي مُذْ رَأينا البصائـرا *** وعَمَّ السُرورَ الأَهْلَ ثُمَ العشائـــــــرا

وتَهْدِي إلى نَهْجِ الحقيقة كُل مَـــــن *** غَدا في ظَلام الشَّكِ والوَهمِ حَائـــــرا

ِليكِ ومن يَحذُوكِ أزْكَى تَحِيّـــــــــــة *** وأخْلَصُها مِني ابْتِدَاءً وآخـــــرَا(المسعدي محمد بن عبد الرحمن، 1947، ص7).

الجدير بالذكر؛ هو أن الجمعية جعلت من الدين والعلم مطية للغاية الأسمى وهي خدمة الوطن والنهوض به، وهو ما لمسناه من تفانيها في الشق التعليمي التثقيفي يأتي في طليعتها قضية التربية.

ثالثا. جريدة البصائر ومسألـــــــــــــــــة التربيــة:

تحتل التربية مكانة جد هامة ومؤثرة لدى العلماء الإصلاحيين، وهو ما نستشفه من خلال دعواتهم وكتابتهم إلى ضرورة الاهتمام بها، ومن هنا جاءت قضية التربية في طليعة ما ركزوا عليه، فحاولوا بكل ما أوتوا من جهد وعزيمة في إبرازها والنهوض بها لما لها من اثر عظيم في حياة الأمم، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي في الصدد " كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعاتنا بالمدينة المنورة في عام 1913 في تربية النشئ هي إلا نتوسع له في العلم وإنما نربيه على فكرة صحيحة، فتمت لنا التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا"،(فضيل

عبد القادر ورمضان محمد الصالح، 2010، ص189)، ونستخلص من خلال ما قاله الإبراهيمي فكرتين أساسيتين:

-إعطاء الأولوية في المجال التعليم للنوع والكيف وليس للكم في المعلومات.

-إعطاء الاهتمام الأكبر للعمل التربوي في العمل التعليمي.

إن المتتبع لجهود جمعية العلماء في مجال التعليم يرى مدى رسوخ فلسفة ابن باديس التربوية والتي هي منح الأولوية للتربية وجعلها الغاية الاسمي من كل عمل تعليمي، فالتربية عنده هي حجر الأساس في كل عمل بنائي، لذلك أعطاها كل جهده ووقته، ويرى بأن المعرفة التي تعطى للمتعلمين إن لم يكن هدفها تربية العقل وتهذيب السلوك وتزكية النفس فلا قيمة لها، والحقيقة فان هذا الفكر التربوي الذي نجده عند ابن باديس نابع من الروح الإسلامية التي تعيش في فكره وسلوكه ووجدانه والتي كان يستلهمها في كل عمل من أعماله(فضيل عبد القادر ورمضان محمد الصالح، 2010، ص 173، 174).

هذا وقد تمحورت جهود العلماء المصلحين للنهوض بالأمة، حول فكرة "التربية هي أساس كل شيء"، فعمد كُتَّاب البصائر وذلك عبر صفحاتها لإيصالها لجميع أفراد المجتمع لتنبيه الغافلين عن أهميتها وذلك اعتمادا على:

-التعريف بمسألة التربية بمنظور ومنهج جمعية العلماء.

-تبيان الأسس الصحيحة القائمة عليها.

-اعتماد منهج التربية أساس التعليم.

1.التعريف بمسالة التربية:

نظر جمعية العلماء المسلمين المصلحين نظرة خاصة إلى مسألة التربية، باعتبارها المرآة التي تعكس شخصية الأمة، فراحوا يولونها حيزا في صفحات جريدة البصائر الثانية(جريدة البصائر، 1947، ص1)، لإبرازها للوجود وجعلها حقيقة ملموسة، فبحثوا واجتهدوا من اجل الوصول إلى ماهيتها، ومن هؤلاء الذين أعطوها فسحة من كتاباتهم نجد علي شرفي قائلا "التربية انه من مصدر ربى يربي وهذه الكلمة - أي التربية - تستعمل في النبات والحيوان والإنسان"(شرفي علي، 1948، ص3).

إذا التربية تنشئة للملكات وتنمية للغرائز على خلق ما، وهي من اجل مظاهر الإنسان وأعظم مميزاته عن الحيوان، فلم يقم بها سواء ولم يعهد بها إلى غيره لما عنده من قوة التخيير وكمال الإدراك، حتى قال بعض المفسرين أن الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنما هي "التربية"(العيد محمد، 1936، ص3).

وصفها الشيخ احمد ابن ذياب فقال عنها "هي تنمية وتقليم، وتقويم وتطعيم"(بن ذياب احمد، 1947، ص5)، ووضحها الشيخ أبو يعلى الزواوي بحيث كتب يقول " فالتربية أن ينشا الولد بأوامر الدين الإسلامي عند سن التمييز، كما يؤمر للصلاة لسبع ويضرب لعشر ويجانب كل ما من شأنه النهي عنه في الإسلام من قول أو فعل"(الزواوي أبو يعلى، 1947، ص5).

تجدر الإشارة ان الكثير ممن كتبوا حول التربية كثيرا ما كانو يربطونها بالنشء لما لذلك من الأثر في الحياة مستقبلا بدليل ما قاله الطيب اليحياوي " التربية هي تحريك قوى الطفل وما هو

كامن في نفسه من استعدادات وتربيتها وتهذيبها حتى تبلغ ما يمكن التحصيل عليه من الكمال"(اليحياوي الطيب بن عيَّاد، 1951، ص5)، وهو ما ذهب إليه إسماعيل العربي تحدث عن التربية من خلال جملة من أراء بعض المدارس حولها خاصة مدرسة علم الاجتماع، إضافة إلى تركيزه على العلوم المساعدة لها والتي يراها مناسبة ومهمة بالنسبة للمربي في العلوم ومما جاء فيه " وأخيرا تأتي فلسفة التربية التي هي بمثابة القيادة العامة التي توضع فيها خطط الهجوم والدفاع النظرية في ميدان التربية، فعلى المربي الاستعانة بالعلوم الأخرى التي توصله إلى تحقيقها"(العربي إسماعيل، 1947، ص3).

الجدير بالملاحظة ومن خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن التربية نالت قسطا من اهتمام الإصلاحيين كيف لا وهم الذين ركزوا على النشئ وضرورة العناية به، ولكن لبناء أي قاعدة متينة لا بد لها من أساس، فما هي الأسس التي بنا عليها رجال الإصلاح في الجزائر رسالة التربية المنشودة ؟.

2.أسس التربية الصحيحة:

أ.التربية الدينية:

اجمع الباحثون بشؤون التربية – على اختلاف مراحلها – على أهمية التربية الدينية وأثرها الحسن في تنشئة الأطفال وتوجيههم منذ الطفولة إلى المثل العليا التي تنقشها على صفحات قلوبهم وتغرسها في نفوسهم، وهو ما سعى إليه أهل العلم والإصلاح، كتب باعزيز بن عمر في مقال له "بالبصائر" حول هذا الصدد تحت عنوان التربية الدينية وحظ شبابنا منها، ومما جاء فيه "ونحن نريد طبع الناشئة الإسلامية بطابع الدين في جميع مراحل الحياة، يقوم أخلاقهم صغارا، ويعدهم لعظائم الأمور كبارا، ويعصمهم من الزيغ، وهذه هي التربية الأساسية التي إذا صاحبت الطفل وسايرت نموه قام عليها سلوكه الاجتماعي بعد حين(بن عمر باعزيز، 1949، ص2)، فكانت له خير واق مما يعتريه شابا أو كهلا من داء الحيرة والتشاؤم(بن عمر باعزيز، 1949، ص2).

فالأصل كل الأصل في تربية الإنسان ومنشئه كما ما أشار الشيخ أبو يعلى الزواوي قائلا: "الأصل في تربية الإنسان، فابن آدم يولد أميا لا يعلم شيئا لقوله تعالى **"والله أَخْرَجَكُم مِنْ بُطُونِ أُمهَاتِكُم لا تَعلَمُون شَيئاً وجَعَلَ لَكُمْ الأَبصَار والأفْئِدَة لَعلّكُم تَشْكُرُون** (سورة النحل، الآية78)، وفي الحديث الشريف قوله ﷺ **"ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه إما يهودانه أو ينصرانه"**(صحيح البخاري (341/1 و348 و308/3)، فيتضح للمسلم من هذين الأصلين وجه توجيه أولاده في التربية والتعليم، فالتربية هي أن ينشا الولد بأوامر الدين الإسلامي عند سن التمييز"(الزواوي أبو يعلى، 1947، ص5).

هذا وتساءل–أبو يعلى الزواوي- مستغرباً حول إذا ما كان هناك تربية خارج نطاق الدين الإسلامي الحنيف فقال "ولا نظن أن يوجد مسلم يقول أو يعمل بتربية ولده على غير تربية الإسلام، وعلى غير تعاليم الإسلام فإذا فعل ذلك فأمره واضح أي متعمد الانصراف عن الإسلام وتركه"، (الزواوي أبو يعلى، 1947، ص5)، فالتربية الحقّة المؤسسة على مكارم الأخلاق هي الكفيلة وحدها بأن تسمو بالأمة إلى الحياة السعيدة والعيش الهنيء ومن العبث أن تحاول أمة إدراك مجد وترجو مزيد تقدم إذا لم نسلك سبيل التربية والأخلاق الفاضلة(مرشد، 1936، ص7)،

ولهذا السبب نجد الآباء والأمهات في الجيل الماضي يحرصون كثيرا على تحبيب الدين إلى نفوس أبنائهم وبناتهم خشية تدنس فطرتهم السليمة أهواء الحياة وشرورها المتراكمة. (بن عمر باعزيز، 1949، ص2).

نفهم من هذا مدى تمسّك المصلحين بالدّين الصحيح، والنّهل من تعاليمه القويمة لإصلاح المجتمع وهو ما نلمسه من خلال ما كتبه باعزيز بن عمر في هذا الصدد "إن التربية الدينية إذا ازدهرت كما يريد الإسلام، قادرة على بناء مجتمع راق منسجم في حياته المادية والمعنوية"(بن عمر باعزيز، 1949، ص2).

تجدر الإشارة أن؛ ابرز مظاهر التربية الدينية ومحاسنها في المجتمع الجزائري ما تجلى خاصة في القرى والأرياف الذي كان سدا منيعا في وجه المبشرين يقول باعزيز بن عمر"ولعل هذا النوع من الشعور الديني الذي يسود سكان الأرياف والقرى هو الذي وقف سدا منيعا في وجوه المبشرين وجعل أعمالهم فيها هباءاً منثوراً فغادروها وهم يشعرن بالخيبة المريرة بعد أن بذلوا جهودا جبارة في والتبشير(بن عمر باعزيز، 1949، ص2).

والحق؛ فالغاية المنشودة من التربية الدينية مذاهب ومقاصد غير أن الأليق أن تكون مذهباً روحياً بان تجعل أداة موصلة للحياة المعنوية فليس أجمل من الحياة الروحية ويجعل بنا – معشر الإسلام - أن نسعد السعادتين، فمن اجل هذا يلزم شبابنا المحبوب المتوقد أن يتأثر بالفكرة الإسلامية ميالا إلى آداب الإسلام و فضائله كي لا يقع في مزالق الشرور والأهواء (بوروح احمد، 1947، ص8)، تلك هي الأخلاق التي ننشدها ونعمل علي نيلها والتي يجب أن نربي أنفسنا على دعائمها لنكون حقا متبعين لهدي من جاء ليتمم مكارم الأخلاق محمد صلى الله عليه وسلم(مرشد، 1936، ص7).

نعم هذا ما كانت تسعى إليه جمعية العلماء وهو إعداد جيل مستقبلي ذو تربية إسلامية صحيحة، جيل يعيش بفكره ويحيا بقلبه يشعر بإدراكه وانتمائه ويسخر الحياة وما فيها لخدمة الجموع.

ب.التربية القومية:

أولى المصلحون أهمية للتربية الدينية الصحيحة ولم يكتفوا بها فقط بل راحوا يؤكدون على البعد القومي لهذه التربية من باب الحرص على تنمية الشعور الوطني في نفوس الناس بصفة عامة والناشئة بصفة خاصة، للخروج من دائرة الانتماء القبلي والشعائري الضيق، وتحت عنوان منهـــاج التربية القوميـــة دعى إسماعيل العربي إلى تربية يصل مداها وأثرها إلى الأمة فكتب في هذا الصدد يقول " والتربية القومية هي التي يرجع لها الفضل في تحويل تفكير الإنسان وجعل اهتمامه يتعدى حدود العائلة، إلى القبيلة، ثم إلى الأمة كلها، وهي خليقة بان توسع أفق التفكير، بحيث يتجه إلى خدمة مبادئ قومية في نطاق سياسي واقتصادي وثقافي واسع"(العربي إسماعيل، 1947، ص2)، ويستمد منهاج التربية القومية قوته من عناصر كثيرة أهمها:

الدين: فالشعور الديني يعتبر ضروريا ومؤثرا قويا في توجيه الجماهير.

اللُّغة: لأنها عامل من عوامل التفاهم وتؤدي إلى وحدة الشعور القومي.

وحدة الظروف السياسية والاقتصادية: التي لها الأثر الكبير على الظروف الاجتماعية(العربي إسماعيل، 1947، ص2).

فالتربية لها مسؤولية اجتماعية كبيرة الهدف منها خلق أفراد باستطاعتهم النهوض بوطنهم وجعل مجتمعهم مجتمعا مفتوحا، يستطيع أن يتصل بالمجتمعات الأخرى وان يتأثر و يؤثر فيها (النجيحي محمد لبيب، 1981، ص38)، والتربية التي لا ترمي إلى هدف شبهها احمد بن ذياب كالمسافر يمتطي وسائل النقل دون أن تكون له محطة معلومة يقف عندها أو حاجة محتومة يريد قضاءها(بن ذياب احمد، 1948، ص6).

3.التربية أساس التعليم:

بَنت جمعية العلماء المسلمين مشروعها التربوي على أساس اقتران التربية بالتعليم ومراعاة البعد الروحي والمادي فيها معا، وهو ما وضَّحه ابن باديس عند تحديد المهمة التي أُنشئت من اجلها جمعية التربية والتعليم الإسلامية:" بُني القانون الأساسي للجمعية من الوجهة التربوية على تربية أبناء المسلمين وبناتهم تربية إسلامية بالمحافظة على دينهم ولغتهم وشخصيتهم أي تحقيق كينونة الفرد وكينونة الجماعة، ومن الوجهة التعليمية على تثقيف أفكارهم بالعلم والمعرفة"(فضيل عبد القادر ورمضان محمد الصالح، 2010، ص182).

نفهم مما قاله ابن باديس؛ مدى تأكيد هذا الأخير على المبدأ الذي سعت الجمعية إلى تطبيقه وهو أسبقية التربية قبل كل عمل تعليمي، وهو ما سار عليه وبصورة جِلّية الشّيخ البشير الإبراهيمي الذي أعطى للموضوع حقّه، فها هو هنا يوجه خطابه لمعلمي الجمعية داعيا إياهم إلى العناية بالتربية قبل التعليم فهو يرى انه يجب الاهتمام بالجانب السلوكي الأخلاقي قبل كل شئ، لهذا كان يشدد في الحرص على أن ينال التلميذ حظه من الأخلاق قبل التعلم حيث نجده يقول "احرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم واجعلوا الحقيقة الآنية نصب أعينكم واجعلوها حاديكم في تربية هذا الجيل الصغير وهاديكم في تكوينه وهي أن هذا الجيل الذين انتم منه لم يأت في خيبته في الحياة من نقص في العلم وإنما خاب أكثر من خاب من نقص في الأخلاق، فمنهما كانت الخيبة ومنهما كان الإخفاق"(الابراهيمي محمد البشير، 1950، ص1).

كما وراح البشير الإبراهيمي ينبه المعلّمين إلى أهمية هذا الجانب مهما اختلفت الأعمار والأمكنة "أخشى أن تغيب عن بصائركم حقيقة ثابتة وهي أنكم معلمون للصغار وأئمة للكبار، أولئك يأخذون من أخلاقكم وعلمكم وهؤلاء يأخذون من أخلاقكم؛ فإذا راعيتم الجانب الأول واعتقدتم إنكم معلمون للصغار، وأغفلتم الجانب الثاني فلم تبالوا بما يأخذه منكم استقامة واعوجاجا كان ضركم أكثر من نفعكم"(الإبراهيمي محمد البشير، 1950، ص1).

فالإبراهيمي هنا حاول أن يوجه القائمين على التعليم إلى الاعتماد على مسلك التربية قبل التعليم، لأنه يعلم أن الإنسان المتعلم المفتقر إلى التربية الصالحة لا ينفع وقد يكون وبالاً على صاحبه ووبالاً على الناس، كما انطلق محمد الشّبوكي من نفس الفكرة وهي أن فوائد التعليم و ثماره تجنى بفضل التربية والمسؤولية كلها على المعلم فكتب قائلاً " فوظيفة المعلم حينئذ ذات طرفين: تربية، وتعليم ولا يحصل الطرف الثاني إلا بحصول الطرف الأول كما لا تكون النتيجة إلا بمقدماتها ومن هنا نعلم سر تفاني علماء التربية والتعليم في بذل الثلثين من جهودهم تقريبا في استكشاف غوامض النّفس وسبر أغوارها حتى كونوا بذلك شعاعا يهتدي به المعلم في طريقه إلى كشف مجاهل الطفل والسير به إلى حيث الكمالات الممكنة"(الشّبوكي محمد، 1947، ص4).

هذا وقد اعتبر عيسى يحياوي أن مهنة التعليم الشاقة لها مقومات ومنها التربية ففي رسالته إلى المعلمين كتب في البصائر يقول " إخواني أن مهنة التعليم من أصعب المهن وأشقها لأنها تنهك الروح وتفني العقل ولا يعزب عنكم أنكم من بناة الأمم فاستسهلوا كل صعب يعترضكم في الطريق وأشعروا أنفسكم أن حياة الشعوب لا تأتي عفواً بل لا بد لها من مقومات ومكونات منها تربية البنين والبنات وان الأمة قد دفعت إليكم بأبنائها وأفلاذة كبدها وعدة مستقبلها ورجال غدها فكونوا عند ظنها بكم وذلك بأن تتعهدوا أبناءها بالعناية والرعاية والتربية والتهذيب حتى تخرجوا لأمتكم شبابا حيا يصارع شباب الأمم المتربصة"(يحياوي عيسى، 1948، ص3).

وسار الأستاذ العيد مطروح على منوال من سبقوه في هذا المضمار فكتب مقالا صريحا يناشد به المعلم بحمل الأمانة الثقيلة الملقاة على عاتقه عندما قال " لقد أخذت بعهدتك مسؤولية كبرى وأمانة عظمى وهي تربية الناشئة وإعدادها للحياة ... فانظر ما أنت صانع في نفوس هؤلاء الأبرياء الصغار وما أنت زارع في صحائفهم البيضاء التي هي القلوب الفضة الطاهرة، فالأمة قد ائتمنتك على أبنائها فلتكن أنت أمينا ومخلصا لمهنتك التي هي التربية والتنشئة(مطروح العيد، 1948، ص1)، وإذا ما أدرك المعلم أهمية التربية وقيمتها الاجتماعية بَانَ له خطر مركزه المجتمع، وعلم انه أمام واجب إنساني مقدس وانه يبني أنفساً وعقولاً، وبان له انّه إذا أقام بواجب الأمانة التربوية، أمكن له أن يهيئ جيلا صالحا لان يخوض غمار الحياة.."(ميتشيل دينكن، دس، ص235).

ومن الأمور التي تجعلنا نتيقن أن الجمعية لم تهمل هذا الجانب تلك المذكرة التوجيهية للمعلمين التي إسماعيل العربي وفيها نصائح حول العلاقة التربوية بين المعلم والمتعلم، تتمحور حول الرعاية وأساليب الردع إضافة إلى ترك المجال للطفل لإبراز شخصيته، لأن هاته الخطوات البسيطة سوف يكون الأثر العظيم في المجتمع الذي ينتمي إليه ومن ابرز ما أشار إليه في هذا الصدد " يحتاج الطفل إلى رعاية المعلم بقدر ما يحتاج إلى رعاية والديه فعلى المعلم أن يعرف كيف يكون أبا في المدرسة، شجع الصدق والأمانة والنظام في السلوك وأول العناية كلها لتربية الشخصية...ان الطفل عالم صغير فحاول أن تكتشف جداول ميوله من أسئلته(العربي إسماعيل، 1949، ص18)، وختم كلامه بحكمة مفادها " قال جان جاك روسو " اعرف الطفل لأني واثق من أنك لا تعرفه وأنا أقول أحبب الطفل فأني واثق من انك لا تحبه بالكفاية"(العربي إسماعيل، 1949، ص18).

ومن هنا ندرك حقيقة التربية المدرسية وقيمتها الأدبية في المجتمع"(العيد محمد، 1936، ص3)، هذا وقد دعا المسلمون إلى الاعتناء بها وما انحطاط العالم الإسلامي إلا بسبب إهمالها، "فعلى التربية فليقبل المسلمون وليعتنوا بالأخص بالتربية المدرسية وليضعوا لها المناهج المدّقِقة والبرامج الموفقة، فما أوتي المسلمون إلا من ناحية إهمالهم لهذا الجانب وما وفق غيرهم إلا بما تداولوا فيه من رأي سديد وقول مفيد وعمل رشيد"(العيد محمد، 1936، ص3).

خاتمة:

بناء على ما تقدم نقول: أن ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع بداية الثلاثينات جاء كمحصلة لتطور فكري ونضج الوعي الديني، وقد سعت إلى تجسيد مبادئها وتحقيق أهدافها

معتمدة على مختلف الوسائل المتنوعة فبالإضافة إلى المؤسسة التربوية كالمدرسة والنوادي والمساجد الحرة نراها تعتمد على وسائل أخرى كالصحف لنشر أفكارها الإصلاحية وإيصالها لأغلب شرائح المجتمع خاصة إذا تعلق الأمر بالتثقيف والتكوين والتوعية، فكان لاحياءها البصائر الثانية سنة 1947 استكمالا للنضال الصحفي الإصلاحي الذي بدأته صحف الجمعية، وقد اعتبرت الجريدة الوحيدة آنذاك الناطقة والمعبر عن أفكارها، هذا وقد اتسمت بثراء مواضيعها ومادتها المعرفية، وهي بصفة عامة تهدف إلى تكوين رأي عام إصلاحي، فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ولسان حالها البصائر الثانية سعت إلى جعل التربية قبل التعليم، فهذا الأخير إن خلا من الأخلاق لا يستفاد منه، فقليل من العلم مع التربية أفضل من علم كثير بدون تربية، وانطلاقا من الأسس الدينية، الوطنية والقومية أيقنت أن التعليم بدون تهذيب وإرشاد لا يخدم المشروع الإصلاحي الساعي لتكوين جيل مستقبلي مصلح تكون مصدر تربيته الدين الإسلامي، جيل متخلق يعيش بفكره ويحيا بقلبه واعي بواجبه نحو أمته ووطنه.

قائمة المراجع:

1.الإبراهيمي محمد البشير(1950)، كلمات واعظة لأبنائنا المعلمين، جريدة البصائر، ع132.
2.الإبراهيمي محمد البشير(1947)، استهلال، جريدة البصائر، ع01.
3.بن الدّراجي فرحات(1947)، البيان العربي شعار البصائر، جريدة البصائر، ع03 .
4.بن ذياب احمد(1948)، نريد مثلا أعلى، جريدة البصائر، ع28.
5.بن ذياب احمد(2011)، الأستاذ مبارك الميلي والصحافة، مجلة الأصالة، ع67، م. و. ش. د ، تلمسان.
6.بن ذياب احمد(1947)، كـيف نـوجـه، جريدة البصائر، ع7.
7.بن عتو بن عون(2010)، الفعل الإصلاحي وإشكالية النهضة- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا"، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، ع02، مكتبة الرشاد للنشر، الجزائر، جوان.
8.بن عمر باعزيز(1949)، التربيـة الدينيـة وحظ شبابنا منها، جريدة البصائر، ع72.
9.بن عمرة السعيد(2005)، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في التصدي للمشروع الثقافي الاستعماري، مجلة المعيار، ع10،،دار الفجر للنشر، قسنطينة.
10.بوروح احمد(1947)، وسائل التربيـة، جريدة البصائر، ع09 .
11.بوغزال صالح(1947)، عودة البصائر، جريدة البصائر، ع05.
12.بوكوشة حمزة(1951)، صديقي فرحات، جريدة البصائر، ع 158.
13.جريدة البصائر(1947)، ع9، الجمعة 03 أكتوبر م، ص 01.
14.جريدة البصائر(1948)، ع 26.
15.جريدة البصائر(1947)، ع9.
16.جمَّال غنية(2004-2003)، جريدة البصائر ودورها الإصلاحي السلسلة الثانية 1947-1956م، مذكرة ماجستير، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة.
17.دوغان احمد(1989)، شخصيات من الأدب الجزائري، د ط، م. و. ك، الجزائر.
18.الزواوي أبو يعلى(1947)، الأصل في تربية الإنسان ومنشئه، جريدة البصائر، ع4.
19.الشّبوكي محمد(1947)، التربيـة أساس التعليم، جريدة البصائر، ع02.
20.شرفي علي(1948)، على هامش التربيـة والتعليم، جريدة البصائر، ع62.
21.العربي إسماعيل(1947)، منهـاج التربية القوميـة، جريدة البصائر، ع07.

22.العربي إسماعيل(1949)، مذكرة توجيهية في التربية، جريدة البصائر، ع93.
23.العربي إسماعيل(1947)، بحث في علم التربيـــــــة، جريدة البصائر،ع03.
24.عمامرة تركي رابح(2009)، جمعية العلماء المسلمين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة 1931-1956، ط1، موفم للنشر، الجزائر.
25.العيد محمد(1936)، التربية المدرسية وأثرها في المجتمع، جريدة البصائر"،ع01.
26.فضيل عبد القادر و رمضان محمد الصالح(2010)، إمام الجزائر عبد الحميد ابن باديس، د ط، دار الأمة للنشر، الجزائر.
27.لونيسي رابح(2012)، العلاقة الجدلية بين الثقافتين الفرنسية والجزائرية في العهد الاستعماري وانعكاساتها، مجلة كان التاريخية، ع15، دار ناشري للنشر الإلكتروني، الكويت.
28.محمد فاضل الجمالي(1976)، الشيخ البشير الإبراهيمي ورسالته التربوية، المجلة التاريخية المغربية، ع5، منشورات الاتحاد العام التونسي للشّغل، تونس.
29.مرشد(1936)، علموا أنفسكم مكارم الأخلاق، جريدة البصائر، ع 04.
30.المسعدي محمد بن عبد الرحمن(1947)، تحية البصائر، جريدة البصائر، ع12.
31.مطروح العيد(1948)، إلى المعلـــــــــــــم، جريدة البصائر، ع56.
32.ميتشيل دينكن(دس)، معجم علم الاجتماع ، تر إحسان محمد الحسن، ط2، دار الطليعة للنشر، بيروت.
33.ناجي عبد النور(دس)، البعد السياسي في تراث الحركة الوطنية الجزائرية، الجزائر.
34.النجيحي محمد لبيب(1981)، الأسس الاجتماعية للتربية، ط08، دار النهضة العربية، بيروت.
35.اليحياوي الطيب بن عيَّاد(1951)، التربية والتعليم، جريدة البصائر، ع165.
36.يحياوي عيسى(1948)، نصيحتـي إلى إخواني المعلمين، جريدة البصائر، ع 61.